

يسعدني ويشرفني ان اقف اليوم امامكم للتحدث عن رجل كبير من هذا الوطن، عن شاعر امتلك الحس المرهف ودقة الملاحظة وملكه التعاطف مع كل شي حي. ف جاء ما نظمته من شعر حسن الصنعة عميق الافكار يعكس تجارب وخبرات فنية وفكر تحليلي فلسفي يظهر تارة على شكل حكم وتارة ثانية تنفيساً لغضب على من يفسد جمال الطبيعة وطيبة الانسان وتارة ثالثة على شكل نغمات حزينة تبكي الاحباب الذين غادروا والأوطان التي ضاعت والطبيعة التي لُوثت والبساطة في العيش والتعامل التي لم تعد تسكن ديارنا.

اصدر الشاعر الصديق جودت حيدر ثلاثة كتب شعرية، ودواوين تدين اسماءها على الكثير من محتوى، فمن اصوات قديمة وحديثة كانت تضح بالحياة وخبت ومن ثم قام غيرها على الامل الى رجع الصدى لإحداث ومواقف وأماكن وبشر تأبى ان يغادرها حتى وان لم تعد هناك الظلال التي تؤمن لنا الحماية من عواطف الزمن احياناً و احياناً اخرى نحجب عنا الرؤية فلا نستطيع ان ندفع عنا هذه العواطف والأنوار.

كثيرون هم الذين تناولوا شعر جودت حيدر وحياته بالوصف والتحليل. فمن بعلبك الوداعة حارسة التاريخ الى جامعات لبنان وجامعات مصر وجامعات اوروبا وأميركا تجول اشعار جودت حيدر كلمات من ذهب على صفحات كتاب وباحثين وجدوا فيها معيناً لا ينضب من جمال التعبير والأفكار الوازنة والحكم الثابتة. بعضهم عرف جودت حيدر الانسان والكاتب الرقيق والحازم في آن معاً وبعضهم فاتهم ذلك فأحبوه من خلال كلمات تنبض بالحياة وبالأنغام الموسيقية فكتبوا وحاولوا ايفاء شاعرنا الكبير حقه كي يتسنى للأجيال القادمة الاطلاع على كتاباته وإشعاره وعلى ما كتب فيه وعنه ومن ادبه الخلاق المستنير. وقد كنت ممن عرفوه فأحبوه وقرأوا شعره فاستمتعوا به وكتبت عنه علني اوفيه بعض حقه.

عنوان مداخلتي " فلسفة الوجود عند جودت حيدر " وهي تبقى متواضعة لصعوبة الاحاطة بكل المواضيع التي عالجهما والأفكار التي عرضها. لذلك سأتكلم عن بعض النقاط الوجودية التي اعتبرها زوايا اساسية في تفكير الشاعر فتظهر براعته نظماً ونغماتاً وحكمة.

القضية الالهة عند جودت حيدر هي الانسان بحريته وكرامته وعطائه وتواصل مع الاخرين وتعامله مع الصعاب. وكم صعبة هي الحياة في هذا الشرق عموماً وفي لبنان خصوصاً. يقول الكاتب جان مونو في مقدمته لمجموعة جودت حيدر الشعر الأول / أصوات (Voices) التي صدرت عام 1980: " قد يكتب جودت حيدر قصيدة في موضوع ما كالحنين الى تكساس او الى فلسطين وقد يكتب عن اناس معينين كرجال

الحرب والسياسة ككتابليون وشارل ديغول او كرجال الادب كاللورد بايون او روبرت بيزن، لكنه في كل قصائده ينصب جل همه بدرجة اساسية على الجانب الانساني والحضاري لمواضيع قصائده ."

وفي كتاباته عن الانسان لمحة تصوف وسمو يختلط الانسان بالطبيعة ليصبحا واحداً فالطبيعة السلمية تنتج عن انسان سليم يعرف كيف يتمتع بمفاتها. وفي شعره يحاول جودت حيدر الدفاع عن سلامة الطبيعة وحماتها من عدوانية البشر وهجوم الثورة الصناعية وما ينتج عنها من تلوث في الطبيعة وفي النفس البشرية. وقصيدة "التلوث" خير دليل على ما نقول:

التلوث ليس كلمة تقال، بل هي اقسى الخطوب

نحسها في أنفاسنا وفي اعماق القلوب

اعمدة الدخان المتصاعدة وأصوات الضجيج المتباعدة

والنفط المحترق ينفث السموم

ونحن هنا نتذكى ونتظاهر

تجلو حياتنا من أية هموم

ويصل به اليأس احياناً من صلاح احوال الانسان الى حدود الكفر بهذا الانسان وبالأمل. يقول في قصيدة "أمل ضائع" (Lost Hops).

من نحن والى اين نحن ذاهبون

نسرع تحاصرنا الايام والسنون

في نفق العمر يدفع الميت ميتاً منه اشقى

دون أمل دون رؤيا، لا شيء يبقى

ويتحدث الشاعر بأسلوب جميل عن ثنائية الخير والشر داخل الانسان مع أمل بأن ينتصر الخير والسلام والأمل. يقول في قصيدة نابليون

وأنا اسير في أزقة الماضي لمحت وجهاً
لنابليون وعينه تملأها الدموع
عين على اوسترلتز والأخرى على واترلو
عيناً للإخضاع وعيناً للخضوع
الأحلام والآمال تارة تكون وطوراً لا تكون
فالنصر مظهره البلوغ والهزيمة مظهرها الرجوع

في نظر جودت حيدر وجد الانسان على هذه البسيطة ليكون رسول رحمة ومحبة وسلام. وقد رأى في شخصه وشعره تجسيدا لهذه الفكرة. فشعره وشخصه بنية واحدة، هي جسر تفاهم وتواصل بين حضارة الشرق وحضارة الغرب وهو ابن بار للحضارة الاولى وخبير بالحضارة الثانية، افكاره تتسم بالعالمية والقضايا الانسانية. وحتى القضايا المحلية تصبح في شعره قضايا انسانية أكانت هذه القضايا حرباً أم سلماً أم ادباً أم تلوثاً أم فقداناً لحبيب أم مناجاة لحبيب آخر أم اسفاً على بلد يضيع وآخر يحترق

كان جودت حيدر الشاعر الانسان صوتاً صادحاً في هذا الشرق المع يدعو للمحبة والحرية والتماسك بالأرض والوطن والدفاع عنهما. وقد رأى ان العالم كان سيكون أفضل لو التزمنا بقيم العائلة والمحبة والحق وحب الوطن.

ومن هنا كان قوله في قصيدة بلا عنوان

احذروا الضعف والانقسام

احذروا انفصام الروح عن الجسد

وانسلاخ اللحم عن العظام

واحذروا اوهام الطموحات

ويشدد على الوحدة في مواجهة قوى الشر في المنطقة العربية. يقول

كفى نوماً انهضوا وكونوا على استعداد

وجهزوا الجيوش بما تحتاجه من عديد وعتاد

فالحقوق لا تستعاد ابدأ بالكلام

بل بحد السيف والدم وبالونام

واخيراً أختم بما افتتحت به مقدمتي لكتاب الظلال Shadows مع القليل من التعديلات. فقد قلت

تمثل دواوين جودت حيدر مسيرة شعرية حافلة لشاعر ورجل كبير من لبنان اختار الانكليزية لغة كتابة ليصل الى أقاصي الارض شاعر عشق الحرية وتغنى بها. دافع عن قيم الانسان شعراً تطرب له الأذان وتخفق له القلوب وتخفو على وقعه العيون وتستلهمه الألباب. شاعر خبر السنين والناس وقدم خبرته في أبيات شعرية تضح بالحياة والنشاط واتعالج مشاكل وهموم تربك حياتنا فتضفي على هذه الحياة مسحة من الحزن والتأمل ممزوجة بروح القوة والحيوية.

والسلام